المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 21 أيار/ مايو، 2023

الدبلوماسية الدفاعية:
دراسة في نشأة المفهوم واستخداماته

حسن الحمود

الدبلوماسية الدفاعية: دراسة في نشأة المفهوم واستخداماته:

سلسلة: دراسات

21 أيار/ مايو، 2023

حسن الحمود

طالب في برنامج دكتوراه الفلسفة في الدراسات الدفاعية والأمنية بأكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية، الدوحة.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطـر

هاتف: 40354111 974 +

www.dohainstitute.org

المحتويات

ملخص 1

مقدمة 2

أولًا: الدبلوماسية الدفاعية: السياق التاريخي لنشأة المفهوم 3

ثانيًا: مفهوم الدبلوماسية الدفاعية 6

ثالثًا: أدوات الدبلوماسية الدفاعية وأهدافها وأنشطتها 12

رابعًا: الدبلوماسية الدفاعية أداة مهمة لتنفيذ السياسة الخارجية 16

خاتمة 19

المراجع 21

ملخص

تقدم هذه الدراسة مقاربة نظرية للدبلوماسية الدفاعية باعتبارها أحد موضوعات الدراسات الدفاعية. وتنطلق من فرضية أساسية مفادها أن الحروب والنزاعات المسلحة دفعت إلى التفكير في إنتاج هذا المفهوم؛ من أجل ممارسة أدوار دبلوماسية متكاملة ومتداخلة مع الدبلوماسية العامة، درءًا للحروب قبل وقوعها. وتتمحور الدراسة حول سؤال رئيس: إلى أي حدٍّ أدت حالة انفجار الحروب والنزاعات إلى التفكير في مسألة الدبلوماسية الدفاعية في إطار تكاملها مع الدبلوماسية العامة، للتقليل من مخاطر الحروب وآثارها ومواجهاتها لتحقيق السلم والأمن الدوليين؟ وخلصت إلى عدد من النتائج أهمها: أن استخدام الدبلوماسية الدفاعية يحافظ على احتمالات استبعاد المواجهة وما يمكن أن يحدث من خسائر وإهدار للجهد والمال، وأنها تعمل على تجاوز استخدام القوة لكونها أداةً ووسيلة لفن الحكم وعنصرًا ضروريًّا في حل النزاعات والحروب.

مقدمة

يُنظر إلى الدبلوماسية الدفاعية على أنها أحد موضوعات الدراسات الدفاعية، وتجمع بين علمَي الدبلوماسية والدفاع، وهما موضوعان ومنهجان يظهران متناقضين تمامًا؛ نظرًا إلى ارتباط الدبلوماسية في عملها بالحلول والوسائل السلمية، بينما يرتبط الدفاع بعمل الجيش واللجوء إلى استخدام العنف. وجرت محاولات في السنين الأخيرة ليكون للدبلوماسية الدفاعية إطار مفهومي ونظري، ضمن السياقات والمقاربات التحليلية، يضم الدبلوماسية والدفاع.

تتناول هذه الدراسة أبعاد العلاقة بين الدبلوماسية والدفاع، في ظل ما جدّ من تطورات في الحقلين الدبلوماسي والدفاعي، من حيث الممارسة التي تداخلت فيها ديناميات العمل الدبلوماسي والدفاعي ومحركاته، إلى درجة صعب معها التفريق بين المهمات والمسؤوليات الدبلوماسية والدفاعية. وتجادل هذه الدراسة بأن إشكالية التداخل والتكامل بين المفهومين، من حيث النظرية والتطبيق، ومن حيث تطور الممارسة، كل بحسب مرجعياته ومنطلقاته، دفعت المختصين إلى النظر في العلاقة بين المفهومين (الدبلوماسية والدفاع)، التي عكست العديد من الآراء، والأبعاد، والأدوات، المتعلقة بدرء الحروب.

بناءً عليه، فإن إشكالية الدراسة تتمحور حول سؤال رئيس: إلى أي حدّ أدت حالة انفجار الحروب والنزاعات إلى التفكير في مسألة الدبلوماسية الدفاعية في إطار تكاملها مع الدبلوماسية العامة، للتقليل من مخاطر الحروب وآثارها ومواجهاتها لتحقيق السلم والأمن الدوليين؟ وتتفرع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة لتفكيك جزئيات المشكلة وفرعياتها. فماذا نعني بالدبلوماسية؟ وماذا نعني بالدفاع؟ وما أوجه الشبه والاختلاف بين المفهومين، في إطار مهمات العلاقات الدولية، والسياسة الخارجية، ومسؤولياتها، وأهدافها، ومحدداتها لدى أي دولة في المجالَين الدبلوماسي والدفاعي؟ وما الحجج التي أطلقها المختصون لمعرفة أبعاد العلاقة، بين نطاقي الدبلوماسية، والدفاع، وتقديم التبريرات التي تخدم اتجاهات كل فريق بحسب منطلقاته؟ وما النتائج التي توصلوا إليها، مفاهيميًّا ونظريًّا؟

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن تزايد الحروب والنزاعات المسلحة دفع إلى التفكير في إنتاج ما يُسمّى «الدبلوماسية الدفاعية» لممارسة أدوار دبلوماسية متكاملة ومتداخلة مع الدبلوماسية العامة، درءًا للحروب قبل وقوعها. وتأسيسًا على ذلك، تهدف الدراسة إلى محاولة الكشف عن أبعاد العلاقة بين حقلَي الدفاع والدبلوماسية، وأهدافهما وأدوارهما وأدواتهما وسياساتهما الخارجية، فضلًا عن الوقوف على الأطروحات المفاهيمية والنظرياتية التي طرحها المختصون في مجالات السياسة والعلاقات الدولية والدبلوماسية والعسكرية، إضافةً إلى تتبع مسارات التحولات التي حدثت بدءًا من تسعينيات القرن العشرين وما جاء بعدها من أطروحات، والكشف عن النمو المتسارع للدبلوماسية الدفاعية.

وتأتي أهمية الدراسة من تصاعد الاهتمام العالمي بما يُسمى الدبلوماسية الدفاعية، التي لم تأخذ موقعها بعد في سُلّم اهتمامات المؤسسات السياسية والأمنية والعسكرية، خاصة في الدول النامية، التي لم تَرْقَ بعد إلى الدخول في عالم استخدامات فنون الدبلوماسية الدفاعية. وقد اعتمدت الدراسة على عدد من الاقترابات النظرية التي تناولت الدبلوماسية الدفاعية وجدل العلاقة بينها وبين الدبلوماسية العامة.

جرى تقسيم الدراسة إلى أربعة محاور، يتناول الأول السياق والتفسير التاريخي للدبلوماسية الدفاعية، ومفهوم الدبلوماسية العامة بأنواعها، ويتوسع الثاني في مفهوم الدفاع وصلته بالقوات المسلحة، ومفهوم الدبلوماسية الدفاعية، ويُعنى الثالث بأدوات الدبلوماسية الدفاعية وأهدافها وأنشطتها، ويبحث الرابع في علاقة السياسة الخارجية بالدبلوماسية الدفاعية.

أولًا: الدبلوماسية الدفاعية: السياق التاريخي لنشأة المفهوم

يذهب العديد من الدراسات والأبحاث إلى أن مصطلح «الدبلوماسية الدفاعية» قد برز في حقبة ما بعد الحرب الباردة عام 1991، بين المعسكرَين الشرقي والغربي، وما ترتب عليها من تحولات في البيئة الاستراتيجية الدولية؛ دفعت عددًا من الدول إلى إعادة تشكيل تحالفاتها، والتأقلم مع متطلبات المرحلة الجديدة. وقد تبين أن استخدام الدول للقوة الصلبة، في المواجهة العسكرية، أثبت عدم جدواه في اتجاهات عديدة؛ وذلك لما تخلفه الحروب بمختلف أنواعها من دمار وخسائر بشرية ومادية.

في هذا السياق، يشير جريجوري وينجر[1] إلى أن مصطلح الدبلوماسية الدفاعية قد اكتسب مكانة بارزة، لأول مرة، في تسعينيات القرن الماضي، وذلك بعد انفصال دول أوروبا الشرقية عن الاتحاد السوفياتي بعد انتهاء الحرب الباردة، وقد شكّل ذلك تحديًا لنظيراتها في دول أوروبا الغربية[2].

لقد خشيت الحكومات الغربية من أن تشكّل الجيوش الكبيرة ذات الطراز السوفياتي لدول حلف وارسو السابق عقبات رئيسة في طريق الانتقال إلى الديمقراطية؛ ما دفعها إلى تبني استراتيجية جريئة تقضي باستخدام قواتها العسكرية للمساعدة في إعادة بناء القوات المسلحة لدول الحلف، من خلال الأنشطة اللاعنفية مثل تبادل الضباط والبرامج التعليمية.

جعل هذا الأمر الحكومات الغربية تحشد مؤسساتها الدفاعية، من أجل إصلاح جيوش أوروبا الشرقية، وفي هذا السياق، جرى تنفيذ برامج مثل «الشراكة من أجل السلام» الذي استحدثته منظمة حلف شمال الأطلسي «الناتو»، للمساعدة في غرس المعايير الديمقراطية للعلاقات المدنية - العسكرية، ودمج أوروبا الشرقية في أجهزة الأمن الجماعي القائمة، مثل الاتحاد الأوروبي والناتو. وقد سلطت هذه الجهود الضوء على تطور القوات المسلحة، بوصفها أداة لفن الحكم، بما يتجاوز قدرتها على استخدام العنف، واتخذت لتحقيق ذلك نهج التعاون المشترك بين الطرفين[3].

ويذهب ليش دراب إلى أن مصطلح الدبلوماسية الدفاعية ظهر، بعد نقاشات متعددة في الانتخابات البرلمانية، التي انتصر فيها حزب العمال البريطاني، في عام 1997، وطالب بمراجعة الاستراتيجيات الدفاعية. فاستجاب آنذاك وزير الدفاع، جورج روبرتسون، في تموز/ يوليو 1998، وقام بنشر الورقة البيضاء[4] White Paper في البرلمان البريطاني[5]، التي تتعلق بتأثير تفاعلات السياسة الخارجية في السياسة الدفاعية للمملكة المتحدة، وأشار إلى أن الدبلوماسية الدفاعية تتعلق، في بعض مهماتها، بمسائل البعثات العسكرية، المتمثلة في الملحقين العسكريين، وبتنفيذ مهماتهم وعملياتهم السلمية، لتحقيق التعاون العسكري والدولي، في مهمات مفاوضات نزع السلاح والحد من التسلح.

---

1 جريجوري إتش وينجر، أستاذ مساعد في قسم العلوم السياسية بجامعة سينسيناتي الأميركية، متخصص في الأمن الدولي والسياسة الخارجية، يدور معظم أبحاثه حول عمليات بناء الثقة وكيفية استخدام الأنشطة التعاونية، مثل دبلوماسية الدفاع، لتسهيل التعاون في القضايا الأمنية الناشئة. أنجز وينغر عملًا مهمًا حول كيفية استخدام هذه الأنشطة لدعم التحالفات الأميركية في آسيا.

2 Gregory Winger, "The Velvet Gauntlet: A Theory of Defense Diplomacy," in: Agata Lisiak & Natalie Smolenski (eds.), *What Do Ideas Do?* Institut für die Wissenschaften vom Menschen (IWM), Vienna: IWM Junior Visiting Fellows' Conferences, vol. 33 (2014), pp. 2 - 3.

3 Ibid., p. 3.

4 Lech Drab, "Defence Diplomacy - an Important Tool for the Implementation of Foreign Policy and Security of the State," *Security and Defence Quarterly*, vol. 20, no.3 (2018), p. 59.

5 Tom Dodd & Mark Oakes, "The Strategic Defence Review White Paper," *Research Paper 98/91*, UK Parliament, 15/10/1998, accessed on 26/3/2022, at: https://bit.ly/3MYYZnD

ويركز دراب على أن مصطلح الدبلوماسية الدفاعية، الذي جرى تشكيله بعد نهاية الحرب الباردة، كان مدفوعًا بالحاجة السياسية إلى تسمية الأدوار المتزايدة للهياكل الخاضعة لاختصاص وزارات الدفاع الوطني، والإشارة إلى أهدافها في خلق «بيئة دولية منزوعة السلاح»، أصلها يأتي من عالم السياسة وليس من العلم[6]. وهذا ما يؤكده وينجر بأن هذا المصطلح جرى استخدامه أول مرة من جانب وزارة الدفاع البريطانية؛ لتوحيد سلسلة من الأنشطة العسكرية التعاونية التي تجريها الوزارة تحت عنوان واحد. وركزت الجهود المبذولة لتعريف هذه الدبلوماسية على أن تجعلها واسعة بما يكفي، لأن تشمل جميع الأنشطة المصنفة حاليًا بأنها «دبلوماسية دفاعية»، بدلًا من تطوير مفهوم ماهية هذه الدبلوماسية في الإطار الواقعي، التي تفتقر إلى تعريف ذي مغزى، ويجري تشويهها إلى الحد الذي يجعلها فارغة من الناحيتين الوصفية والتحليلية[7].

وفي تطور لاحقٍ، شهدت تسعينيات القرن العشرين حقبة جديدة ومتميزة في الشؤون الدولية، مع الصعود المطرد للاعتماد المتبادل، والنمو المتزايد للجهات الفاعلة الجديدة، في التحولات العالمية إلى مشهد جديد، إضافة إلى شكل متجدد من الدبلوماسية العامة؛ وقد أدت هذه النتائج وغيرها، من مرحلة ما بعد الحرب الباردة، إلى ممارسة تطوير الدبلوماسية الدفاعية التي أعطت الأولوية لترابط متعدد الأطراف. يعضد ذلك ما ذهب إليه باتريك بلانين من أنه، من خلال تصور الترابط، يمكن تخيل البنية التحتية لسياسة الدولة الخارجية بوصفها شبكة واحدة؛ فالدبلوماسية تربط تنفيذ أهداف السياسة الخارجية بقدرات وزارة الدفاع وقطاع السلك الدبلوماسي[8].

وفي السياق ذاته، يرى منير الزمان أن الدبلوماسية الدفاعية تطورت في العقود القليلة الماضية، لتكون أداة مهمة في منصة رجال الدولة السياسية العالمية، من أجل خلق علاقات أفضل بين الحلفاء، والوقوف خصمًا قويًّا[9]، على الرغم من أن المصطلح جديد نسبيًّا، وأُنشِئ استجابةً لمتطلبات ما بعد الحرب الباردة، ويتطلب الاحتياجات، والتحالفات الضرورية وتعديل العلاقات المقطوعة في النزاعات بين الدول والحروب الأهلية في ذلك الوقت. وقد اُستُخدمت الدبلوماسية الدفاعية، لتسمية المهمات الجديدة والوظائف الدولية، التي أنجزتها القوات المسلحة وقيادة وزارات الدفاع الوطني[10].

ويضيف منير الزمان أن الموقف التقليدي للمؤسسات الدفاعية قد تغير بعد الحرب الباردة، وظهرت الدبلوماسية الدفاعية، وصارت أهداف السياسة الخارجية والداخلية تراكمية ومترابطة في إطار الاعتماد المتبادل؛ نظرًا إلى ما يحدث من متغيرات محلية وإقليمية تؤثر في الأمن الدولي.

وهنا يبين أندرو كوتي وأنتوني فورستر أن القوات المسلحة ووزارات الدفاع، منذ عام 1990، أخذت على عاتقها نطاقات متزايدة من المهمات التعاونية وقت السلم، في أوروبا والناتو. ذلك أن الأعضاء الغربيين القدامى صاروا يجرون التدريبات الدفاعية جنبًا إلى جنب مع أعدائهم السابقين من أوروبا الشرقية، ويقدمون المساعدة لهذه الدول في عمليات إصلاح جيوشها. أما في آسيا، فقد طورت الولايات المتحدة الأميركية علاقات جديدة للتعاون العسكري مع الصين والهند.

---

6 Drab, p. 64.

7 Winger, p. 2.

8 Patrick Blannin, "Defence Diplomacy in the Long War Beyond the Aiguillette," PhD. Dissertation, Faculty of Society and Design, Bond University, Australia, 2018, p. 30.

9 A.N.M. Muniruzzaman, "Defence Diplomacy: A Powerful Tool of Statecraft," *Claws Journal*, vol. 13, no. 2 (2020), p. 63.

10 Ibid., pp. 64 - 65.

وقد ترافق ذلك مع بداية حوار أمني داخل رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان). أما في الأميركتين، فاجتمع وزراء دفاع منظمة الدول الأميركية مرات عديدة، وأقامت دول أميركا اللاتينية علاقات دفاعية ثنائية جديدة، ثم جرت إعادة توجيه العلاقات العسكرية طويلة الأمد بين الولايات المتحدة وجيرانها الجنوبيين، نحو أهداف جديدة. وفي أفريقيا دعمت الحكومات الغربية الدول في عمليات إصلاح جيوشها، وتطوير قدراتها في عمليات حفظ السلام المحلية[11].

ضمن هذا السياق، شهدت البيئة الاستراتيجية الدولية، التي أعقبت الحرب الباردة، بروز العديد من المفاهيم التي تدعو إلى بناء الثقة، وإنهاء حالة العداء، ودرء النزاعات، وتعظيم العمل الدبلوماسي بأشكاله المختلفة، واللجوء إلى العمل اللاعنفي، وإعطاء القوات المسلحة أدوارًا إضافية تتعدى أدوارها التقليدية؛ وذلك بغية تحقيق السياسات الأمنية والدفاعية من دون استخدام القوة. كل ذلك برز في إطار العلاقات الثنائية والمتعددة، التي أفرزت تكتلات وتحالفات جديدة، وكانت سببًا في ظهور مصطلح الدبلوماسية الدفاعية.

وبالنظر إلى ما ورد، فقد عزز كوتي وفورستر نجاحات هذه الاتجاهات الجديدة، مستدلَين بأن الولايات المتحدة وحلفاءها استخدموا الدبلوماسية الدفاعية بصفتها أحد عناصر سياسات أوسع، تهدف إلى تحسين العلاقات مع روسيا؛ واستخدمتها الصين وأستراليا آلية لإشراك إندونيسيا؛ وجرى توظيفها وسيلةً أيضًا للتغلب على الصراع التاريخي بين الأرجنتين والبرازيل؛ وبين دول البلقان أيضًا مثل بلغاريا ورومانيا التي استخدمتها في ما تبذل من جهد لتجنب الصراع[12].

غير أن نيكولاس دي. كرون طرح رأيًا آخر؛ إذ حاول أن يجادل بأن الولايات المتحدة قد ركزت سياستها، منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، أساسًا، على مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، وتركت أغلب شركائها في أنحاء أميركا اللاتينية جميعها ومنطقة البحر الكاريبي. وفي المقابل، استفادت الصين من غياب الولايات المتحدة، بتعزيز علاقاتها في المنطقة وإقامة شراكات اقتصادية وعسكرية قوية، ثم سعت روسيا وإيران إلى زيادة نشاطهما في أميركا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي باستخدام الدبلوماسية الدفاعية[13].

في إطار كل هذه التحولات والتطورات التي طرأت على طبيعة المواجهات، حربًا وسلمًا، وأثرت بذلك في العلاقات بين الدبلوماسية والدفاع، يرى جاستين فريس أن نهاية الحرب الباردة جعلت الخطوط الفاصلة بين قضايا الدفاع والأمن والسياسة الخارجية غير واضحة، وأدت إلى تغير دور التعاون الدفاعي للقوات المسلحة، وصار دور وزارات الدفاع والجيوش أوسع نطاقًا في مهمات التعاون والمساعدة في وقت السلم، وأنها عملت، بأكثر فاعلية، أداةً للسياسة الخارجية والأمنية[14].

وتأسيسًا على ما ورد من عرض وتحليل حول مجادلات علاقة الدبلوماسية بالدفاع، صار هناك اعتراف بأن الحرب ليست الوسيلة الوحيدة في السياسة الدولية التي تناسب القوات المسلحة؛ ما يعني أن هذه القوات صارت تعيد موازنة جهودها نحو أنشطة ارتباط استباقية طويلة الأجل، ونحو بناء الثقة لتحقيق التأثير مع تزايد الاعتراف بضرورة التركيز أكثر على منع الصراع بدلًا من إدارته، وصار هذا التطور معروفًا باسم الدبلوماسية الدفاعية.

---

11 Andrew Cottey & Anthony Forstey, *Reshaping Defence Diplomacy: New Roles for Military Cooperation and Assistance*, Adelphi Paper 365 (Oxford: Oxford University Press for the International Institute for Strategic Studies, 2004), p. 5.

12 Cottey & Forstey, p. 17.

13 Nicholas D. Kron, "Security Diplomacy: Beyond Defense," Master Dissertation, Johns Hopkins University, Maryland, 2015, pp. 24 - 25.

14 Justin Fris, "Neither Staunch Friends nor Confirmed Foes: New Zealand's Defence Diplomacy in Asia," Master Dissertation, Victoria University of Wellington, New Zealand, 2013, p. 17.

ثانيًا: مفهوم الدبلوماسية الدفاعية15

يتكون مصطلح الدبلوماسية الدفاعية من كلمتين، كلتاهما تشكلان موضوعًا معرفيًّا مستقلًا، ويذهب إلى أن يكون علمًا تركيبيًّا Synthetic يجمع بين الدبلوماسية والدفاع. وهما أمران ومنهجان مختلفان تمامًا، على الرغم من تداخلهما، في مواجهة بعض القضايا؛ لأن الدبلوماسية ترتبط بالقوة الناعمة، بينما يرتبط الدفاع بعمل القوات المسلحة واستعمال القوة الخشنة. وتنحو الدبلوماسية الدفاعية إلى معالجة أنماط وقضايا تختلف وتتغاير من النظريات والأفكار المختلفة، وهي تختلف عن المعارف والعلوم المنهجية الأخرى لأنها مرتبطة بالدراسات الدفاعية.

ضمن هذا الإطار، يتفق كوديندرا أرجون مثنّى مع القول بأنها تناقض لفظي. وقد يبدو هذا منطقيًّا؛ لأن الجيوش ترتبط تقليديًّا بالصراع واستخدام القوة، بينما يجري تعريف الدبلوماسية بأنها فن إدارة العلاقات لتحقيق مكاسب من دون صراع[16]. ويتماشى ذلك مع جوهر ممارسة الدبلوماسية الدفاعية؛ ذلك أنها تعتمد على استخدام القوة الناعمة، شأنها في هذا شأن أنواع الدبلوماسية كلها. وقد أضاف منير الزمان إلى مفهوم الدبلوماسية الدفاعية، بقوله إنها المشاركة في تشكيل السياسة الأمنية للدولة وتنفيذها، وإن مهمتها إقامة علاقات دولية مستقرة وطويلة الأمد في مجال الدفاع. ويُعدّ هذا التصور للمفهوم نقطة انطلاق لفهم دوره، بوصفه من أهم الأدوات في السياسة الخارجية وأمن الدول المعاصرة[17].

غير أن نيكولاس دي. كرون اشتبك مع الآخرين، في مفهومه للدبلوماسية الدفاعية؛ حيث فرق بينها وبين الدبلوماسية القسرية، في أن الأولى تسعى لبناء الشراكات مستخدمة قواتها المسلحة، بينما تسعى الثانية لترهيب شركائها من أجل دفعهم إلى التعاون، وذلك بالتهديد باستخدام القوة[18]، على أن الدبلوماسية بمفردها هي واحدة من أقدم المهن، ويعود اسمها إلى التعبير اللاتيني diploma، وهي الوثيقة المطوية التي يحملها مبعوث دولة إلى أخرى، لتتيح له الدخول إلى أراضيها والخروج منها بأمان. وللدبلوماسية، بوصفها فكرةً ومنهاجًا، تاريخ قديم يعود إلى الإمبراطورية الرومانية[19]؛ وحتى في العصور الحديثة (منتصف القرن التاسع عشر)، ظلت الدبلوماسية مهمة يشرف عليها الحاكم مباشرةً[20].

وفي العصر الحديث، تطورت الدبلوماسية، وزاد الاهتمام بها بعد «معاهدة وستفاليا» في عام 1648، وخلق نظام عالمي جديد أساسه سيادة الدول. وقد ذهب هنري كيسنجر في كتابه **الدبلوماسية** إلى أن من الطبيعي أن يظهر في كل قرن تقريبًا بلد لديه القوة والإرادة والزخم الفكري لتشكيل النظام الدولي وفقًا لقيمه الخاصة. ففي القرن الثامن عشر، دعت بريطانيا إلى «توازن القوى»، الذي سيطر على الدبلوماسية الأوروبية على مدى مئتي عام تلت. وفي القرن التاسع عشر، أعادت حكومة النمسا بناء الحلف الأوروبي،

---

15 هنالك جدل يظهر الفرق الدلالي بين الدبلوماسية الدفاعية ودبلوماسية الدفاع، من المنظور اللغوي، ويساعد في الوصول إلى المنظور الاصطلاحي الصحيح؛ فالتذكير أنسب من التأنيث للتعبير عن حالات القوة والشدة التي تناسب معنى (الدفاع) في اللغة، و"دبلوماسية الدفاع" مُركبة من كلمة دبلوماسية وهي مضاف، وكلمة الدفاع وهي مضاف إليه، فالتركيز في هذا التعبير على الدفاع وليس على الدبلوماسية. أما "الدبلوماسية الدفاعية" فهي تركيب نعتي، والنعت (الصفة) تابع من التوابع يأخذ حكم المنعوت، فالدفاعية صفة للدبلوماسية تأخذ حكمها الإعرابي، وتتبعها في كل شيء حتى في التذكير والتأنيث، فلا مزية للدفاعية سوى في أنها تابعة للدبلوماسية، ويفهم من تعبير الدبلوماسية الدفاعية أنها أحد أنواع الدبلوماسيات الأخرى أو فرع منها. أما دبلوماسية الدفاع فهي إحدى طرائق الدفاع، ويمكن أن تجتذب وزارة الخارجية الدبلوماسية الدفاعية، بينما تُعنى وزارة الدفاع بدبلوماسية الدفاع. لكن على الرغم من ذلك، جرى اعتماد مصطلح الدبلوماسية الدفاعية وليس دبلوماسية الدفاع. والذي أحدث هذا الخلط هو المصطلح نفسه الذي وفد من تعريبه والترجمة إلى اللغة العربية، مثل الدبلوماسية والاستراتيجية والأكاديمية وغيرها، التي بدت كأنها لفظة اقتضاها التأنيث.

16 Kodendera Arjun Muthanna, "Military Diplomacy," *Journal of Defence Studies*, vol. 5, no. 1 (January 2011), p. 1.

17 Muniruzzaman, p. 65.

18 Kron, pp. 9 - 10.

19 منصور خالد، **شذرات من وهوامش على سيرة ذاتية، ج 4: الدبلوماسية السودانية في نصف قرن** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2018)، ص 24.

20 المرجع نفسه، ص 27.

ثم فككته ألمانيا، وأعادت تشكيل الدبلوماسية الأوروبية وتحويلها إلى لعبة سياسة القوة ذات الدم البارد، وفي القرن العشرين لم يؤثر أي بلد في العلاقات الدولية بصفة حاسمة مثل الولايات المتحدة[21].

وبناءً عليه، فإن الدبلوماسية تُعدّ أداة ووسيلة وسلوكًا وعلمًا يعالج الأنماط السلوكية والعلاقات الدولية ويديرها. وفي هذا الإطار، يرى مارتن غريفيش وتيري أو. كالاهان أن للدبلوماسية وجهين؛ فهي الوسيلة التي تدافع بها الدولة عن نفسها وتشكو همومها إلى العالم، وهي أيضًا إحدى الوسائل الأساسية للتوفيق بين مختلف المصالح القومية المتنافسة. وتهدف الدبلوماسية إلى تلبية أهداف الدولة المعنية، مع الحفاظ على النظام العالمي؛ وهي الأداة التي تستخدمها الدول للوصول إلى أهدافها من دون إثارة عداء الدول الأخرى[22].

ضمن هذا السياق، تناول العديد من المفكرين والباحثين تعريفات الدبلوماسية، ومن أشهرها تعريف الكاتب والدبلوماسي البريطاني الشهير، السير هارولد نيكلسونHarold Nicolson ، الوارد في كتابه **الدبلوماسي**، حيث يرى أن «الدبلوماسية هي إدارة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثون لإدارة هذه العلاقات وتسويتها، وهي وظيفة الدبلوماسي أو فنه»[23].

ويرى جي. آر. بيريدج أنها «نشاط سياسي في الأساس، يهدف إلى تمكين الدول من تأمين أهداف سياساتها الخارجية من دون اللجوء إلى القوة، أو الدعاية، أو القانون»[24]. ويتفق العديد من المفكرين والباحثين من أمثال تي. جي. أوتي، وموريس كينس - سوبر، وجي. أر. بيريدج، على أن الدبلوماسية وسيلة، أو أداة قيمة للسياسة الخارجية[25].

وفقًا لهذه التعريفات والمفاهيم، تعددت أنماط الدبلوماسية، وتنوعت صورها وأشكالها، مثل: دبلوماسية المنظمات الدولية، ودبلوماسية المؤتمرات الدولية، ودبلوماسية القمة أو الدبلوماسية المباشرة، والدبلوماسية الشعبية، والدبلوماسية الثقافية وغيرها. ولذلك ظهر واضحًا أنه لا يوجد اتفاق على تقسيمات الدبلوماسية؛ فمثلًا قسمها نيكولاس دي. كرون إلى الدبلوماسية التقليدية، والدبلوماسية الاقتصادية، والدبلوماسية العامة، والدبلوماسية الدفاعية[26].

وبالنظر إلى ما ورد حول التعريفات والمفاهيم السابقة، يتضح أن الدبلوماسية مفهوم متعدد الجوانب والاستخدامات، وأنها مرتبطة بالأهداف، ولم تعد تقتصر على العلاقات الثنائية بين الدول بل امتدت لتشمل اتصالات الدول بالمنظمات الدولية والإقليمية وغيرها من المؤسسات والوحدات السياسية في المجتمع الدولي. ولذا فإن الدبلوماسية هي عملية سياسية مستمرة، توظفها الدولة بصفة رسمية لتنفيذ سياستها الخارجية وفي إدارتها لعلاقاتها مع غيرها على مستوى الدول والأشخاص.

أما فيما يتعلق بالدفاع، الذي يكون الشق الثاني من مفهوم الدبلوماسية الدفاعية، فقد أحال عدد من الباحثين لفظ الدفاع – من دون ذكر المؤسسة العسكرية - إلى معانٍ متصلة بالقوات المسلحة والجيش والعسكرية؛ نظرًا إلى ارتباط العمل الدفاعي ووزارة الدفاع بها، وكانت وزارة الدفاع في السابق تسمى «وزارة الحرب» إلى أن جرى تعديلها في معظم الدول[27].

---

21 Henry Kissinger, *Diplomacy* (New York: Simon & Schuster, 1994), p. 17.

22 مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**، ترجمة مركز الخليج للأبحاث (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008)، ص 204.

23 هارولد نيكولسون، **الدبلوماسية**، ترجمة محمد مختار الزقزوقي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957)، ص 45.

24 G.R. Berridge, *Diplomacy: Theory and Practice*, 5th ed. (London: Palgrave Macmillan, 2015), p. 1.

25 G.R. Berridge, Maurice Keens-Soper & T. G. Otte, *Diplomatic Theory from Machiavelli to Kissinger* (London: Palgrave Macmillan, 2001), p. 3.

26 Kron, pp. 7 - 8.

27 كان وزير الحرب عضوًا في مجلس وزراء الولايات المتحدة بدءًا من إدارة الرئيس جورج واشنطن، ومسؤولًا عن الشؤون العسكرية جميعها، وفي خط الخلافة للرئاسة، بعد نائب رئيس الولايات المتحدة، ورئيس مجلس النواب، والرئيس المؤقت لمجلس الشيوخ ووزير الخارجية.

يستدعي دايفيد شوتر التاريخ في تناوله لمصطلح الحرب الذي جرى استبداله بمصطلح الدفاع، حيث بات مصطلح الحرب غير مرحب به، وباتت الدول تشير اليوم إلى العمليات العسكرية العدوانية، على أنها «دفاع عن النفس»، وغيّرت وزارات الحرب أو القوات المسلحة أسماءها إلى وزارات الدفاع في الدول كافة تقريبًا[28].

ولفظ «الدفاع» ورد في معظم المعاجم العربية والأجنبية بمعنى المدافعة، والدفع، والمنع، والرد؛ والدفاع في المفهوم العسكري هو ما يُتخذ في الحروب من أساليب لرد هجوم العدو؛ ووزارة الدفاع في البلاد تتولى أعمال الحرب على الأعداء. وفي المعجم العسكري، يشير مصطلح الدفاع إلى «الإجراءات التي تتخذها الدولة أو مجموعة [دول] متحالفة، لمقاومة الهجمات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية أو التقنية، [إذ] إن القدرات الدفاعية تعزز الردع، وهو مصطلح يخص كافة الصنوف العسكرية، والقوات المشتركة» [29].

في إطار هذه التبادلية في الأسماء، يَبسُط عزمي بشارة مفهومه للجيوش، بأنها «القوات المسلحة المنظمة في كتائب وفرق وفيالق أو غيرها من التشكيلات المدربة على الطاعة بموجب تراتبية واضحة في تسلسل الأوامر من الجندي وحتى قيادة الجيش، التي تقوم لغرض الدفاع عن دولة»[30]. وفي السياق ذاته، يشير بول دوتشاين وآخرون إلى أن «القوات المسلحة مؤسسة شبه شمولية، وذات نظام هرمي صارم، وتعمل تحت أقصى درجات الانضباط، وقد تعزز وجودها بفضل الإحساس العميق بالهوية المهنية، وبتوظيف استقلاليتها العملياتية المميزة لها بوجه عام»[31].

وبناءً عليه، يتبين أن مفهوم الدبلوماسية الدفاعية يتركب من مفهومين متناقضين. لكن المفهوم بعبارة واحدة يدل على كيفية قيام القوات المسلحة بترجمة قدراتها العسكرية سلميًّا إلى أصول لمنع النزاعات وحلها[32]. وهي واحدة من الوسائل الحديثة لدرء النزاع وإيقاف استخدام القوة، وذلك عبر الاتصالات الثنائية، وبوساطة الملحقين العسكريين، والتدريب المشترك، والقيام بمناورات مشتركة[33].

وفي هذا الإطار، يشير جيمس ويلارد إلى أنها سلوك الدبلوماسيين العسكريين للمفاوضات وغيرها، والعلاقات بين الدول وجيوش الدول ومواطني الدول بهدف التأثير في البيئة التي يعمل فيها الجيش، وتشمل هذه الجهود الجوانب التقليدية للدبلوماسية، والجوانب غير الرسمية للدبلوماسية العامة[34]. في حين يشير جاستين فريس إلى أن تعريف المملكة المتحدة للدبلوماسية الدفاعية قد استقر في عام 2010 على أنه: الوسائل التي نستخدم بها أصولنا وأنشطتنا الدفاعية لتحقيق النفوذ الدولي، وقد عاد إلى التعريف التقليدي الذي يدور حول التدريب والدعم للقوات المسلحة المتحالفة[35].

ضمن هذا السياق، وفي إطار تطور نطاقات العمل الدبلوماسي وتوسعه، وزيادة مهمات وزارة الدفاع وأدوارها، وتبادل أهداف السياسة الخارجية وسياسة الأمن القومي، يأتي مفهوم الدبلوماسية الدفاعية؛

---

28 دايفيد شوتر، **حوكمة وإدارة قطاع الأمن** (بريتوريا: معهد الدراسات الأمنية، 2011)، ص 55.

29 سامي عوض، **معجم المصطلحات العسكرية لصنوف الجيش والقوات البرية والبحرية والجوية والقوات المشتركة** (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2008)، ص 241.

30 عزمي بشارة، **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 14.

31 جوزيف سويترز وبول سي فان فنيما وروبرت بيريز (محررون)، **إدارة المؤسسة العسكرية: النظرية والتطبيق** (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2016)، ص 56.

32 Winger, p. 5.

33 Muniruzzaman, p. 65.

34 James E. Willard, *Military Diplomacy: An Essential Tool of Foreign Policy at the Theater Strategic Level* (Fort Leavenworth, KS: United States Army Command and General Staff College, 2006), pp. 6 - 7.

35 Fris, p. 18.

فقد أوجدت هذه الدبلوماسية واجبات إضافية غير تقليدية للجيوش، نجم عنها تقدم واضح في بناء علاقات دولية على أسس جديدة، قاعدتها الأساسية التي تنطلق منها هي نشر السلم والأمن، ونزع فتيل التوترات، ومساهمة الجيوش في التعامل مع الأزمات والكوارث.

وهذا ما ذهب إليه بلانين باتريك، في تفسيره للدبلوماسية الدفاعية بأنها شكل موازٍ وتكميلي للدبلوماسية التقليدية، ويجري فيها استخدام الصفتين، وتكمن أصول الدبلوماسية الدفاعية في الدبلوماسية العسكرية الكلاسيكية، فهي موجودة منذ العصور القديمة، ولكن من حيث التطور أو التغيير، فقد ظل المفهوم ثابتًا حتى نهاية الحرب الباردة حصريًّا في مجال العسكرية الكلاسيكية[36].

ومن زاوية أخرى، يبين إبراهيم سعيدي أن محدودية المساحة تؤثر في أهداف السياسة الدفاعية، بما في ذلك الطرائق التي تتبعها الدول الصغيرة في سعيها للتكيف مع بيئتها، ومعها، قد تعيق محاولات الحصول على درجة معينة من الضمانات الأمنية أو تحد منها، من خلال آليات تحالفات الدبلوماسية الدفاعية[37].

ويتفق عدد من الباحثين والمفكرين مثل كندرا إل. روديس وألكسندر سي. تان على أنه، منذ تسعينيات القرن الماضي، سعت التخصصات المختلفة لفهم الأسباب التي تجعل دولة ما مؤثرة في المستوى الدولي أو جاذبة للبلدان الأخرى، وقياسها وإدارتها[38]. وقد أدى هذا التفاعل والنشاط إلى الاعتراف بالدبلوماسية الدفاعية، لكونها وسيلة وغاية لتحقيق الأمن والسلم ودرء النزاعات باستخدام الجيوش بصورة لا عنفية، ويمكن وصف هذه المرحلة بمرحلة الازدهار. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يوجد حتى الآن اتفاق أو إجماع على المفهوم.

ويشترك منير الزمان[39]، في مفهومه للدبلوماسية الدفاعية، مع الآخرين في أنها قد برزت بوصفها من أهم أدوات فن الحكم العسكري لتجاوز استخدام القوة؛ وعادة ما تُستخدَم مصطلحًا شاملًا يشير إلى أنشطة متنوعة، مثل تبادل الضباط، وزيارات السفن، ومهمات التدريب المشتركة، والمناورات العسكرية، وكلها تُدرج تحت اسم ممارسة الدبلوماسية الدفاعية. وقد أدركت القوى العالمية الكبرى كلها، بما في ذلك الولايات المتحدة والصين وفرنسا والمملكة المتحدة، حدود استخدام القوة لتحقيق هدفها في الشؤون العالمية، وقد تبنت بدورها الدبلوماسية الدفاعية أداةً أساسية في مذاهبها العسكرية وتشريعاتها القانونية.

ويناقش دانيال فولكس ليون[40] الدبلوماسية الدفاعية بصفتها أداة فن الحكم، التي تهتم على نحوٍ خاص بتنفيذ أهداف السياسة الخارجية المتمثلة في إقامة علاقات تعاون مع الدول الأخرى، وتعزيز الإصلاح العسكري. لكن هذه الرؤية تفتقر إلى التركيز والدقة في تحديد أنشطة معينة يمكن أن تؤدي إلى النتائج المتوقعة.

لكن في مراحل لاحقة، قام آخرون[41] منهم جوليان سوتر Julian Sutor، ومارتن إدموندزMartin Edmonds، وجريج ميلزGreg Mills ، بإعادة النظر في النهج الذي اتخذته المملكة المتحدة في البداية، وركزوا على أن الدبلوماسية الدفاعية تعني استخدام القوات المسلحة، عدا الحرب، لتحقيق أهداف وطنية. وقد حاولت هذه الجهود تصحيح التحيز في وجهات النظر الواردة في التعريف البريطاني، وذلك بتحديد الأهداف العامة التي يمكن أن تحققها هذه الدبلوماسية.

---

36 Blannin, p. 30.

37 Brahim Saidy, "Qatar's Military Power and Diplomacy: The Emerging Roles of Small States in International Relations," in: Anne-Marie Brady & Baldur Thorhallsson (eds.), *Small States and the New Security Environment, The World of Small States*, vol. 7 (New York: Springer Inc., 2021), p. 219.

38 Kendra L. Roddis & Alexander C. Tan, "Defense Diplomacy: Battling for the Heart of the Pacific," *Outer-Terre*, vol. 58-59, no. 1 - 2 (January 2020), p. 2.

39 Muniruzzaman, p. 65.

40 Daniel Foulkes Leon, "Japan's Defense Diplomacy in South East Asia," *Global Politics Review*, vol. 5, no. 1-2, (2019), p. 7.

41 Drab, p. 61.

وقد سار على النهج ذاته تان وسينغ في تعريفه للدبلوماسية الدفاعية، مع إضافة بعض التفاصيل الدقيقة، حيث يرى بأنها: التطبيق الجماعي للمبادرات السلمية و/ أو التعاونية من جانب مؤسسات الدفاع الوطني والممارسين العسكريين، لبناء الثقة وخلق الثقة ومنع الصراعات، و/ أو حل النزاعات. ضمن هذا السياق، اقترح البولندي ليش دراب على حكومته، في دراسته التي أعدها في كلية الأمن القومي، بجامعة دراسات الحرب بوارسو، وعنوانها: «الدبلوماسية الدفاعية، أداة مهمة لتنفيذ السياسة الخارجية»، أن تتبنى تعريف الدبلوماسية الدفاعية بأنها «نشاط دولي سلمي متنوع قائم على الحوار والتعاون، يجري تنفيذه في منظمات أمنية ثنائية ومتعددة الأطراف ودولية، من جانب وزارة الدفاع الوطنية والمؤسسات والقيادات التابعة لها، مع الحلفاء والشركاء والدول الصديقة الأخرى، لدعم تحقيق أهداف السياسة الخارجية والأمنية البولندية»[42].

في سياق متصل، يورد مثنّى تعريف وزارة الدفاع الهندية للدبلوماسية الدفاعية بأنها تبادل للزيارات الدفاعية الرفيعة المستوى ذات الصلة، والحوار حول التحديات الأمنية ومكالمات الموانئ، والتعاون في مجال الدفاع، مثل الأنشطة التي تجري تغطيتها عبر التبادل التدريبي والتدريبات المشتركة، وتحديد مصادر المعدات الدفاعية وتطويرها وإنتاجها وتسويقها، وأشكال التعاون الأخرى[43].

وفي إطار آخر، قدمت وزارة الدفاع الإسبانية إحدى المقاربات الحديثة للدبلوماسية الدفاعية، ووصفتها بأنها نشاط دولي متنوع قائم على الحوار والتعاون، يجري تنفيذه بصفة ثنائية من جانب وزارة الدفاع بالتعاون مع الحلفاء والشركاء والدول الصديقة الأخرى في المنطقة، لدعم تحقيق أهداف السياسة الدفاعية والسياسة الخارجية الإسبانية[44].

وفي هذا السياق، يعرّف كوتي وفورستر الدبلوماسية الدفاعية، بالنظر إلى واجبها في القوات المسلحة والهياكل الأساسية الدفاعية ذات الصلة، التي لديها القدرة على المساهمة في الأمن الدولي ليس فقط بالردع، بل أيضًا بتعزيز بيئة دولية أكثر تعاونًا واستقرارًا – بمعنى استخدام القوات المسلحة من دون عنف – ويشيران إلى أنها ليست بديلًا من الأدوار التقليدية للقوات المسلحة أو غيرها من أدوات السياسة الخارجية والأمنية، بل هي مكمل لها ولدور الدبلوماسية الدفاعية الجديدة المتمثل في المشاركة التعاونية، في وقت السلم، مع الدول الأخرى[45].

ولكن، يبدو أن اشتباك وينجر مع تعريفات الدبلوماسية الدفاعية كلها قد برز، وذلك بالاعتراض عليها وانتقادها، فهو يرى أن هذه الدبلوماسية لا تزال تعاني الغموض المفاهيمي الذي جعل التحليل الأعمق للقضية مستحيلًا، وأنها لا تفتقر إلى تعريف ذي مغزى فحسب، بل إنه جرى تشويهها وامتدادها إلى الحد الذي يجعلها الآن فارغة وصفيًّا، وفارغة من الناحية التحليلية.

من أجل حل الغموض المفاهيمي الذي تعلّق بالدبلوماسية الدفاعية، قرر وينجر إعادة النظر في أصول المصطلح وتصحيح الخطأ في صياغته الأصلية على وجه الخصوص. أما التعريف الجديد، الذي يقترحه - ويرى أنه متماسك فكريًّا - فلا يلتقط الدبلوماسية الدفاعية بدقة، كما تمارس حاليًّا. لكنه يوضح الآليات الأساسية التي تغذيها، ويرى أن فهم هذه الدبلوماسية، بوصفها أحد أشكال القوة الناعمة، يجلي الغموض المفاهيمي الذي اكتنف المفهوم، ويفتح أيضًا المجال أمام بحث أعمق[46].

---

42 Ibid, P. 63.

43 Muthanna, pp. 2 - 3.

44 Carme Chacon Piqueras, *Defence Diplomacy Plan* (Madrid: Ministerio de Defensa, 2012), p. 18.

45 Cottey & Forstey, pp. 5 - 6.

46 Winger, pp. 2 - 11.

من زاوية أخرى، ترتبط الدبلوماسية الدفاعية بالأمن الوطني، لأن مفهوم الأمن حُمل وارتبط، في نشأته، بقدرة الدولة على تحقيق أمنها. ويعدّ الأمن مفهومًا متنازعًا عليه بين مختلف التيارات[47]، وأنه تبلور على مدى حقب عديدة، وارتبط بأحداث تاريخية، وجرت طرائق مختلفة لتقسيم العهود ومراحل النشأة والتطور لمفهوم الأمن، فاعتمد بعضها المراحل الزمانية، كتقسيمها إلى مرحلة ما قبل الحربين العالميتين ومرحلة ما بعدهما.

تشمل المرحلة الأولى نشأة الدولة الوطنية، والثورة الفرنسية، والسياسات الاستعمارية في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر. أما المرحلة الثانية، فتضم الحرب الباردة، والثنائية القطبية، وتأسيس الولايات المتحدة مجلس الأمن القومي، والحرب العربية - الإسرائيلية في عام 1973، وظهور مصطلح الأمن الاقتصادي، وسقوط الاتحاد السوفياتي، وبروز القطبية الأحادية والنظام العالمي الجديد، وأحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة وما بعد ذلك[48].

وقد حدد ألكس ماكليودAlex Macleod [49] خمس مراحل: امتدت الأولى من أربعينيات القرن العشرين إلى منتصف خمسينياته. وبدأت الثانية مع نهاية انفراد الولايات المتحدة بالأسلحة النووية وظهور دول أخرى، وانتشار حالة الاستقطاب والحرب الباردة. والمرحلة الثالثة هي التي شهدت انحسار الاهتمام بالحرب والنزاعات. في حين بدأت المرحلة الرابعة مع بداية السبعينيات وسطع فيها حقل الدراسات الأمنية، والتحول من الدراسات الاستراتيجية إلى الدراسات الأمنية، وتأسست فيها مراكز الفكر والجامعات التي تُعنى بهذا الحقل، وظهرت النظريات الأمنية. وقد ترافق ذلك مع نهاية حرب فيتنام في عام 1975، والغزو السوفياتي لأفغانستان. أما المرحلة الخامسة، فجاءت مع بداية التسعينيات ونهاية الحرب الباردة، وتمثلت في بروز الدراسات الأمنية النقدية، وحوت المفاهيم والمقاربات التي صاحبت هذا التطور، وأصّلت لها من الناحية الفكرية والعملية والأكاديمية بالنظر إلى الربط بين أنماط التفكير وممارسة السلطة، حيث جاءت هذه الأعمال إما موضحة للتطور الماثل في مفهوم الأمن، أو صانعة له من المعطيات التي تحدث.

برزت ثلاث مدارس أساسية هي: مدرسة باريس مع بداية تسعينيات القرن العشرين، وركزت على إعادة تشكيل الحقل الأمني، ومعالجة موضوعات الأمن الداخلي بتقنية حكومية، والمستويات الدنيا للأمن كالجريمة والاختطاف والتهديدات المرتكزة على الأمن المجتمعي.

ومدرسة أبريستويث (ويلز) Aberystwyth في بداية التسعينيات[50] أيضًا، وقد ركزت في إعادة تعريفها للأمن على ثلاثة أبنية فكرية كان أولها فكرة الانعتاق (التحرر)، الذي يمثل قلب النظرية للأمن العالمي؛ والبناء الثاني هو الأفراد، فهم الموضوع المرجعي أو الوحدة المرجعية للأمن، ويرى أتباعها أن الدولة تكون أحيانًا السبب في انعدام الأمن، ولذا فإن وضع الفرد بصفته مرجعيةً مركزية للتحليل الأمني يؤدي إلى صعود جملة من التهديدات كالعنف الجسدي والاضطهاد والتهميش والبطالة؛ والبناء الثالث هو إعطاء المؤسسة الأكاديمية دورًا مهمًّا في إنتاج الحقيقة والمعرفة الأمنية.

---

47 لمزيد من التفصيل، ينظر:
Jef Huysmans, "Security! What Do You Mean? From Concept to Thick Signifier," *European Journal of International Relations*, vol. 4, no. 2 (1998), pp. 229 - 258.

48 إيمان ميصراوي، "الأمن الوطني: نظرة في المفاهيم والنظريات"، **مجلة أكاديميا للعلوم السياسية**، مج 6، العدد 2 (2020)، ص 69.

49 سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية: دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية** (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2018)، ص 22.

50 لمزيد من التفصيل، ينظر: سيد أحمد قوجيلي، "تطور الدراسات الأمنية ومعضلة التطبيق في العالم العربي"، **دراسات استراتيجية**، العدد 169 (2012)، ص 25 - 37.

والمدرسة الثالثة هي مدرسة كوبنهاغن، وقد ركزت على القطاعات الجديدة للأمن على غرار الأمن العسكري، وهي الأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي، مؤكدة على ما بينها من ترابط [51]. ومن أشهر روادها باري بيوزان، وأولي وايفر، وآخرون. وقد غطت أعمالهم العديد من الإشكالات الأمنية، وتجلت أهم أعمالهم في نظرية الأمننة Securitization.

عمومًا، ربما ظهر أن التعريفات الحالية للدبلوماسية تصف كيف يبدو الاستخدام اللاعنفي للقوة العسكرية وما ترجو تحقيقه، من دون أن توضح ماهية الدبلوماسية الدفاعية في الواقع، وتأثيرها في الأمن الوطني. ويتجلى غياب هذا العمق النظري في الأدبيات جميعها، حيث تفصل الدراسات الطرائق التي تمارس بها البلدان الدبلوماسية الدفاعية، ولكنها تفشل في ربط هذه الشراكات بالدراسة الأوسع للعلاقات الدولية، وفن الحكم، وقدرتها على التأثير في قيم الأمن المركزية. بل إن كل دراسة للدبلوماسية الدفاعية تعبر عن دراسة حالة أو حالات محددة، بينما لا تفعل الكثير لتعميق المفهوم.

ولكن توجد قواسم مشتركة بين معظم التعريفات، تتمثل في الاستخدام السلمي للجيش، والنشاط الذي تقوم به وزارة الدفاع خارج الحدود، وتأكيد أهمية الوجود الإقليمي والدولي للجيوش. ويمكن أيضًا استنتاج أسباب بعض التباين في مفهوم الدبلوماسية الدفاعية، وفي الاختلافات والتباينات في السياسات الأمنية والدفاعية والعقائد العسكرية والأوضاع الجيوسياسية للدول، وفي توظيفها للقوة المناسبة من أجل تحقيق أهدافها السياسية، وفي شكل العلاقات الدولية والتحالفات وطبيعة التهديدات القائمة.

وبالنظر إلى كل ما جرى استعراضه من مفاهيم وأبعاد، يمكن تعريف الدبلوماسية الدفاعية بكونها أنشطة لا عنفية لوزارات الدفاع، تنفذها القوات المسلحة خارج حدود الدولة، لتحقيق أهداف السياسة الأمنية والدفاعية بطريقة دبلوماسية.

ثالثًا: أدوات الدبلوماسية الدفاعية وأهدافها وأنشطتها

تغير الموقف التقليدي للمؤسسات الدفاعية، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وظهرت أهمية الدبلوماسية الدفاعية، وصارت أهداف السياسة الخارجية والداخلية تراكمية ومترابطة؛ نظرًا إلى ما يحدث من متغيرات محلية وإقليمية تؤثر في الأمن الدولي. وقد راجع العديد من الباحثين الاستراتيجية التي أعدتها المملكة المتحدة في نظرتها ومفهومها للدبلوماسية الدفاعية، وأسسوا رأيهم في السمة المميزة للدبلوماسية الدفاعية بناءً على أهدافهم[52].

وضمن هذا السياق، يناقش وينجر مصطلح الدبلوماسية الدفاعية، أو كما تسميها بعض الدول أحيانًا «الدبلوماسية العسكرية»، كونها إحدى أدوات الدولة ذات طابع غير عنيف، وهي من وجوه استخدام القوة العسكرية بوساطة أنشطة الموظفين وزيارات السفن الحربية، وهو نشاط يخدم أجندة عالمية للدولة، وقد اتخذ أشكالًا مختلفة لقرون متطاولة وجدت حظها من الاهتمام في الممارسة.

ويطرح وينجر نظرة نقدية فاحصة لمفهوم الدبلوماسية الدفاعية نفسها، مستقصيًا دلالة مصطلح الدبلوماسية الدفاعية، منذ بداية استخدامه لأول مرة في بريطانيا في تسعينيات القرن العشرين، بوصفه نوعًا من القوة الناعمة التي تستخدم في أطر التعاون الاستراتيجي البيني للدول؛ مستعرضًا كذلك الطرائق

---

51 لمزيد من التفصيل، ينظر: حفيظة مكي، "دراسة في الأبعاد والمستويات.. النظريات النقدية الجديدة المفسرة للأمن"، **دراسات**، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2019/11/10، شوهد في 2023/5/10، في: https://bit.ly/3MbAHcK

52 Muniruzzaman, p. 69.

الدبلوماسية الدفاعية؛ معرفًا بالمفهوم بوصفه فرعًا من أصل القوة الناعمة التي تستخدم على أساس استراتيجية التعاون، حيث تؤخذ الدولةُ الأخرى في الحسبان.

وبهذا الربط بين الدبلوماسية الدفاعية ومفهوم القوة الناعمة، يصير المفهوم ليس تأطيرًا للممارسات الحكومية فحسب، بل أيضًا تجميعًا لآليات تجعل هذه الدبلوماسية أداة فاعلة ومؤثرة في الجغرافية السياسية[53]. وقد لخص وينجر مصطلح الدبلوماسية الدفاعية محاولًا وضع إطار نظري له، بقوله إن العالم يعيش في حالة من الفوضى، وإن الدول تجمعها أحيانًا مصالح مشتركة تسعى دومًا لتحقيقها، وفي المقابل توجد دول أخرى تتقاطع مصالحها، ويتجلى فن الحكم (ممارسة الدبلوماسية الدفاعية) في الطريقة التي تستخدمها تلك الدول لتشكيل سلوك الآخرين، من أجل تحقيق مصالحها من دون استخدام القوة.

ويحصر ليش أهداف الدبلوماسية في أنها تركز على نزع فتيل الصراعات وبناء الثقة بين الدول، وتساعد في التوظيف السلمي للكادر العسكري، في المجالَين الإقليمي والعالمي الشامل للدول، لوقف الصراعات، وخلق الاستقرار والتعاون المستمر. وهي بذلك تحقق الشفافية في مجال الدفاع، وتخدم تنفيذ الأهداف المشتركة التي من شأنها أن تدعم الشرعية الدولية على خلفية تثبيت الأمن العالمي، وتصون الحوار مع الشركاء الذي يحتمل أن يكون هدفًا لنشاط الدولة، بما في ذلك الأداة التي تقود إلى تنفيذ المصالح المحددة نتيجةً مباشرة للإسهام في بناء الثقة والتفاهم في العلاقات الدولية. وبهذا تعمل الدبلوماسية الدفاعية في إطار القانون الدولي والنظم وتقاليد القوة[54].

ولعل هذا هو ما ذهب إليه كوتي وفوستر، من أن هنالك أشكالًا أخرى من المساعدة لتعزيز التعاون الدفاعي والثنائي والمتعدد الأطراف[55]، ومن أن التعاون الدفاعي يُستخدم الآن، ليس فقط في دوره السياسي في دعم القوات المسلحة وأمن الحلفاء، بل أيضًا لمتابعة أهداف السياسة الخارجية والأمنية الأوسع، على عكس استخدامها التقليدي بوصفها أداةً لتوازن القوة أو ردع الأعداء. ويجري الآن استخدام التعاون العسكري للمساعدة في بناء علاقات تعاونية مع الأعداء السابقين أو المحتملين - ويشار إلى هذه العملية هنا بالارتباط الاستراتيجي[56] - وكذلك لدعم الديمقراطية والحكم الرشيد وحقوق الإنسان، ولتعزيز العلاقات المدنية والعسكرية الديمقراطية[57].

وفي سياق متصل، سعى روديس وسي تان لتصحيح الاختلاف في وجهات النظر العالمية الموجودة في المفهوم البريطاني، وذلك بتحديد أهداف عامة يمكن أن تستخدم لتحقيق الدبلوماسية الدفاعية، التي جرى تلخيصها في الآتي[58]:

- تحسين الصورة الدولية، وذلك بمساهمة الدول في درء الكوارث، والتدخل للأغراض الإنسانية، التي تُعدّ ضربًا من ضروب استخدام القوة الناعمة للجيوش.
- زيادة الثقة بين الدول المستهدفة، وقد حدد الباحثون العديد من المهمات والأنشطة التي تُعدّ جزءًا من الدبلوماسية الدفاعية، مثل تبادل الخبرات، والتدريبات العسكرية المشتركة، وإجراء المناورات العسكرية، التي تساعد جميعها في تعزيز الثقة بين الدول المتشاركة.

53 Winger, p.1.

54 Drab, p. 65.

55 Cottey & Forstey, p. 6.

56 Ibid, p. 7.

57 Ibid, p.12.

58 Roddis & Tan, pp. 3 - 4.

- تعزيز النفوذ الاستراتيجي للدولة المستهدفة، وتوجد مجموعة من الأنشطة التي تعزز ذلك، وتتمثل في تطوير القدرات الدفاعية، وتعزيز العمل الدفاعي والعسكري بغرض تحفيز التعاون بين الدول الشريكة.
- تعزيز العلاقات، ويُعدّ هذا الهدف الأكثر وضوحًا، وتتعدد فيه المهمات التي تكون أوسع نطاقًا، مثل الحوارات السياسية والأمنية والاستراتيجية، بالتعاون في مجال الصناعات الدفاعية، إضافة إلى توفير التمويل الحكومي لشراء المعدات العسكرية.
- إعادة تشكيل قواعد الأمن الإقليمي ومؤسساته، حيث إن ممارسة الدبلوماسية الدفاعية تساعد على بناء تصور المصالح المشتركة وتعزيزها بين الدول، لتحقيق الأمن الجماعي وتشكيل معاييره ومؤسساته.
- إضعاف نفوذ القوة الأخرى، وذلك بإقامة التحالفات التي تؤدي إلى تقوية ميزان تكافؤ القوة الاستراتيجي، وتغييرها لصالح القوة المتحالفة؛ إذ إن ذلك يساعد في التغلب على نقاط الضعف الناتجة من الأوضاع الجيوسياسية لبعض دول الإقليم.

في هذا الإطار، وإضافة إلى ما ذكر، يمكن الإشارة إلى هدف الأنشطة التي تقوم بها الدول مجتمعة، لنزع فتيل التوترات والصراعات والأزمات ذات الطابع المؤثر في الأمن الدولي: مثل عملية أتلانتا في المحيط الهندي، التي قامت بها القوة البحرية التابعة للاتحاد الأوروبي، في عام 2008، والتي هدفت إلى حماية سفن برنامج الغذاء العالمي المعني بتقديم المساعدات للنازحين في الصومال، وشحن بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال (أميصوم)، وردع أعمال القرصنة والسطو المسلح في البحر، وحماية الشحنات المعرضة للخطر قبالة السواحل الصومالية، على أساس كل حالة على حدة.

إضافةً إلى ذلك، تسهم القوة البحرية التابعة للاتحاد الأوروبي NAVFOR أيضًا في مراقبة أنشطة الصيد قبالة سواحل الصومال[59]، ولكن عدم الاتفاق على مفهوم عالمي موحد للدبلوماسية الدفاعية أوجد تباينات واضحة في أدوات الدبلوماسية الدفاعية وأنشطتها ما بين دولة وأخرى أو كيان وآخر.

ويرى باتريك بلانين أن الدبلوماسية الدفاعية في الولايات المتحدة تعتمد على الأدوات التالية:

المبيعات العسكرية الخارجية (Foreign Military Sales (FMS، وهي هيئة حكومية تابعة لوزارة الدفاع الأميركية ومقرها الرئيس في نيويورك، وقسم المبيعات العسكرية الأجنبية الذي يتخصص في بيع الآلات الحربية، من مركبات وطائرات جوية وصواريخ، إلى الدول المتحالفة معها؛ حيث إن مبيعات السلاح تشجع الدول الشريكة على الاستثمار في التدريب والدعم. ويتوقف توريد السلاح إلى الدول الحليفة على تقويم التهديد المشترك، وأيضًا تساعد في بناء القدرات الائتلافية خلافًا لما يجري تحقيقه من مكاسب مادية[60].

- التدريب، وبناء الثقة والقدرات، ونموذج ذلك استراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب في القرن الأفريقي (الصومال)، ومحاربة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب العربي وجماعة (بوكوحرام) في نيجيريا، وذلك باعتماد استراتيجيتين:
- تكوين القوات الأفريقية المحلية وتدريبها، في نطاق برنامج التعاون على مكافحة الإرهاب.
- التنسيق الأمني والاستخباراتي مع القوى الكبرى، وبخاصة فرنسا، من أجل تغطية المناطق الهشة والصعبة في ساحل الأزمات[61].

---

59 "European Union Naval Force Somalia Operation Atlanta," European Union External Action, accessed on 23/3/2022, at: https://bit.ly/3WRafHp

60 للمزيد من أدوات دبلوماسية الدفاع الأميركية، ينظر: Blannin, Appendix 3.

61 سمير قلاع الضروس، "التصورات الدولية للأمن في منطقة الساحل الأفريقي: قراءة مقارنة بين التصورين الأميركي والفرنسي"، **قراءات أفريقية**، العدد 24 (2015)، ص 36.

وقد أسهم كوتي وفورستر في نقاش مستفيض حول دور القوات المسلحة، بوصفها أهم أدوات الدبلوماسية الدفاعية، وأداةً سياسية ذات تطبيقات واسعة تتجاوز أدوارها القتالية، وتؤدي دورًا مهمًّا في التعاون الدولي المباشر بين الدول في إطار التحالفات الدولية والمنظمات المتخصصة العاملة في مجال الأمن[62]، وقد أشارا إلى أن أهم أدوات هذه الدبلوماسية تتمثل في الآتي:

- الاتصالات الثنائية ومتعددة الأطراف لمنتسبي وزارات الدفاع في الدول.
- تبادل التمثيل في مجال الدبلوماسية العسكرية، وذلك بتعيين الملحقين العسكريين بدرجاتهم المتعددة.
- الاتصالات المشتركة التي تخدم الدول في مجالات التدريب وتبادل الخبرات والدفاع الثنائي.

وقد أضاف جاستن فريس أبعادًا أخرى للدبلوماسية، استنادًا إلى تجربة دبلوماسية نيوزيلاندا الدفاعية، شملت مجموعة واسعة من الأنشطة والأدوار، وذلك بتعميق العلاقات رفيعة المستوى التي تتمثل في الاتصالات الثنائية والمتعددة الأطراف بين كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين، مثل توثيق العلاقات الدفاعية بين دول رابطة أمم جنوب شرق آسيا وأستراليا؛ وتتمثل أيضًا في الاتصالات ذات الطابع العسكري، بوساطة كبار المسؤولين العسكريين في رئاسة أركان الجيش، وذلك بهدف الوصول إلى التعاون الدفاعي الثنائي، وتبادل الخبرات عبر تنسيب الأفراد العسكريين أو المدنيين في وزارات الدفاع في الدول الشريكة[63].

ويضيف جاستن ضرورة تفعيل دور الدبلوماسية الدفاعية، وذلك بتعيين ملحقي دفاع للدول الصديقة، والقيام بالتدريب والتعليم، الذي يشمل تدريب الأفراد العسكريين، مثل التدريب في الكليات الحربية وكلية القيادة والأركان، وبرامج المساعدة المتبادلة، وانتشار فرق التدريب بما فيها التدريبات العسكرية الثنائية والمتعددة الأطراف، إضافةً إلى رفع قوات حفظ السلام وتطويرها[64].

عمومًا، اتضح من خلال العرض والتحليل أن التباينات حول عملية الدبلوماسية الدفاعية تتمثل في استخدام الأدوات المتاحة لوزارات الدفاع، وفقًا لتأطير دور هذه الدبلوماسية لتكون أداة فاعلة، من أجل تحقيق السياسة الأمنية للدولة، وتُحقَّق هذه الأدوار عبر أنشطة متعددة. وبناء عليه، نرى أن الأسباب الأساسية للتباين في استخدام الأدوات والأنشطة ربما يرجع إلى الآتي:

- الاختلافات في السياسات الأمنية والعقائد العسكرية بين دولة وأخرى، أو بين كيان وآخر؛ إذ إن هذه السياسات تعتمد على التهديد الماثل للدولة وقوتها وقدرتها على التعامل معه.
- الإمكانات المادية والتكنولوجية للدولة، ونجد أن الأدوات التي تستخدمها الدول العظمى تختلف عن الأدوات التي تستخدمها الدول الأخرى.
- الأوضاع الجيوسياسية للدول.
- طبيعة الأهداف التي ترغب الدول في تحقيقها.

62 Cottey & Forstey, p. 7.

63 Fris, pp. 35 - 36.

64 Ibid., p. 36.

رابعًا: الدبلوماسية الدفاعية أداة مهمة لتنفيذ السياسة الخارجية

يُنظر إلى الدبلوماسية الدفاعية على أنها أداة للسياسة الخارجية، تمكّن المؤسسات العسكرية ووزارات الدفاع من المساهمة في العلاقات الخارجية بين الدول، مستخدمةً في ذلك عددًا من الأنشطة والوسائل ذات الطابع الثنائي أو المتعدد الأطراف؛ وهذه الدبلوماسية تخدم أهدافًا وغايات وطنية محددة. ويشير منير الزمان إلى أن الدبلوماسية الدفاعية صارت، بسرعة كبيرة، جانبًا حيويًّا للسياسة الخارجية لدى الدول القوية، مثل الولايات المتحدة، والصين، والمملكة المتحدة، والهند، وفرنسا، وإسبانيا، وروسيا، باستخدامها للدبلوماسية الدفاعية، بغرض إرساء الهيمنة على دول جوارها الإقليمي، وإملاء سياستها الخارجية، ووضع الشروط اللازمة لذلك[65].

وفي السياق ذاته، يرى مثنّى أن الدبلوماسية الدفاعية تخدم أهداف السياسة الخارجية والأمنية، وفقًا لما تقتضيه المشاركة الاستراتيجية والدولية والإقليمية؛ وذلك بإنشاء علاقات تعاون مستدامة، وبناء الثقة للحيلولة دون وقوع الصراعات، وانتهاج الشفافية في العلاقات الدفاعية، وبناء تصورات المصالح المشتركة وتعزيزها، وتغيير عقلية الشركاء، والحث على التعاون في مجالات أخرى[66].

ويبدو أن الدبلوماسية الدفاعية يمكنها أن تعزز أهداف السياسة الخارجية لكل بلد، من خلال عمل رئاسة الأركان في القوات المسلحة، وهيئة الاستخبارات والأمن، وإدارة العلاقات الخارجية للدفاع، وبدعم المبادرات الدبلوماسية الأخرى للحكومة.

وقد ناقش العديد من الباحثين أدوات السياسة الخارجية للدبلوماسية الدفاعية، ولخصها كندرا إل روديس وألكسندر سي تان في ستة أهداف أولية من وجهة نظر الدولة الناشئة، وتشمل هذه الأهداف:

- تحسين الصورة الدولية.
- زيادة الثقة بين الدول المستهدفة.
- تعزيز النفوذ الاستراتيجي.
- تعزيز العلاقات.
- إعادة تشكيل قواعد الأمن الإقليمي ومؤسساته.
- إضعاف النفوذ الإقليمي للقوى المنافسة الأخرى[67].

تمثل هذه الأهداف مجتمعة أهم الواجبات التي تسعى وزارات الخارجية لتحقيقها، والتي تسهم الدبلوماسية الدفاعية إسهامًا فاعلًا فيها. ويرى منير الزمان أن هذه الدبلوماسية تشكّل جانبًا حيويًّا في السياسة الخارجية، وأن الدول القوية تستخدم هذه الدبلوماسية لإرساء الهيمنة بين الجيران الإقليميين، وتملي سياساتها الخارجية لتوضح أحكامها وشروطها في التحالفات.

إضافةً إلى ذلك، تؤدي الدبلوماسية الدفاعية، في معظم البلدان، دورًا مهمًّا في هيكلة السياسة الأمنية وتنفيذها، وتحتل مكانًا دائمًا في نظام التعاون بين الدول والمنظمات الإقليمية والدولية. وتسهم أنشطة هذه الدبلوماسية، بوصفها أداة للسياسة الخارجية وأمن الدولة، في تطوير التعاون العسكري، وبناء

65 Muniruzzaman, p. 73.

66 Muthanna, p. 3.

67 Roddis & Tan, pp. 3 - 4.

العلاقات المناسبة بين الدول، وفي هذا المجال على وجه الخصوص تقوم الدولة بتفعيل موارد وزارة الدفاع الوطني بما في ذلك القوات المسلحة[68].

في هذا الإطار، يبرز هدف تحسين الصورة الدولية بصفته أحد الأهداف الستة الأساسية للدبلوماسية الدفاعية، التي تؤدي دورًا مهمًّا في هيكلة السياسة الأمنية، وتنفيذها؛ فهي أداة متخصصة في السياسة الخارجية بصفة عامة، لأن استخدام الدبلوماسية الدفاعية «يخدم وظيفيًّا تعزيز المكانة الدولية للدولة»، ويعزز نظام الدفاع الفعال لكونه النظام الذي يعمل أساسًا على استقرار موقع الدولة في الساحة العالمية، وتعد الثقة المتبادلة بين الدول من أهم عوامل الاستقرار في العلاقات الدولية.

وقد ناقش ليش دراب أهداف الدبلوماسية الدفاعية الرئيسة، وهي إنشاء علاقات تعاون مستقر وطويل الأجل بين الدول، وأداء دورٍ مهم في تحقيق الشفافية في مجال الدفاع، وتحقيق الأهداف المشتركة، ويعدّ ذلك، أهم مجالات هذه الدبلوماسية في الحفاظ على الحوار مع الشركاء أداةً للاتصال وإجراءات بناء الثقة[69].

جدول بأهم مجالات الدبلوماسية الدفاعية

التعاون الثنائي والمتعدد الأطراف، الذي أنشأه وحافظ عليه ممثلون مدنيون وعسكريون، على حد سواء.
التعليم، والتدريب العسكري، والمناورات العسكرية.
البعثات، والعمليات العسكرية.
التعاون الاستخباراتي، وتبادل المعلومات بشأن الحالة العسكرية والسياسية وغيرها من الأحداث المتصلة بقضايا الأمن وحالة القوات المسلحة للدول الأخرى، والتعاون داخل المنظمات، والتحالفات الأمنية والدولية.
الأنشطة المتصلة بتحديد الأسلحة ونزع السلاح وتدابير بناء الثقة.
التعاون في المجال القانوني والتشريعي.
التعاون في مجال الصناعات الدفاعية.
تقديم المساعدة والدعم للعسكريين من القوات المسلحة في البلدان الأخرى.
التعاون العسكري التاريخي، والتثقيف الوطني.

المصدر:

Lech Drab, "Defence Diplomacy – an Important Tool for the Implementation of Foreign Policy and Security of the State," *Security and Defence Quarterly*, vol. 20, no. 3 (2018), pp. 67 - 68.

يعدّ تحقيق النفوذ الاستراتيجي من أهم ما تسعى الدبلوماسية الدفاعية لتنفيذه، وذلك من أجل التغلب على نقاط الضعف وتعزيز نقاط القوة؛ ذلك أن الشراكات الاستراتيجية يمكن أن تؤدي إلى تعديل ميزان تعادل القوى في الإقليم بوساطة اتفاقيات الدفاع المشترك، بما يتيح لها الاستفادة من القدرات الإقليمية،

68 Muniruzzaman, pp. 73 - 74.

69 Drab, p. 67.

والتغلب على أسباب الضعف التي تسببها الأوضاع الجيوسياسية، واستخدام قوتها الناعمة لتحقيق أهدافها الوطنية. ويطرح مثنّى مجموعة من الأنشطة التي يمكن عدّها جزءًا من الدبلوماسية الدفاعية، التي تحقق النفوذ الاستراتيجي، وتعزز العمل الدفاعي والعسكري، وتشمل مساعدة الدولة الأجنبية على تطوير قدراتها العسكرية وتقوية العلاقات الدفاعية التي تمكّن الدول من سهولة التأثير والتواصل[70].

إن الهدف الأكثر وضوحًا في السياسة الخارجية بين الدول هو تعزيز العلاقات فيما بينها، فهذه العلاقات لا تقتصر على العلاقات الأمنية والدفاعية، بل يمكن أن تشمل أنشطة واسعة النطاق مثل الحوارات السياسية والأمنية والاستراتيجية، إضافة إلى التعاون في مجال الصناعات الدفاعية، والتعاون الثنائي والمتعدد الأطراف، فضلًا عن التعاون داخل المنظمات، والتحالفات الأمنية الدولية، والأنشطة المتعلقة بالحد من التسلح ونزع السلاح وبناء الثقة، لشراء المعدات العسكرية[71].

وعدا ذلك، تعدّ التحالفات جزءًا من مجموعة أدوات الدولة لتحقيق أهداف سياستها الخارجية وسياستها الأمنية، وتمارسها الدول في محاولتها إعادة تشكيل معايير الأمن الإقليمي ومؤسساته؛ والدبلوماسية الدفاعية تخلق علاقات تعاونية تساعد على بناء تصور المصالح المشتركة[72] وتعزيزها، وتغيير عقلية الشركاء أيضًا. وفي السياق ذاته، يشير عبد النور بن عنتر إلى زيارة كبار المسؤولين العسكريين الأميركيين، التي كانت تهدف إلى تقديم المساعدة والدعم للدول المغاربية لمحاربة الإرهاب؛ كونها دبلوماسية أمنية وعسكرية[73].

وفي مستوى آخر، ناقش هاني البسوس مفهوم التحالفات، بصفتها إحدى أدوات السياسة الخارجية للدبلوماسية الدفاعية، حيث رأى أنها تأتي بمنزلة روابط رسمية بين الدول المتعاقدة لاستخدام القوة العسكرية من أجل الدفاع عن سلامة الدول الأعضاء، وفيها دعوة إلى التزام الدول المشاركة جميعها باتخاذ تدابير فعالة وقسرية، ولا سيما استخدام القوة العسكرية ضد المعتدي[74]، وعادة ما يجري إضفاء الطابع الرسمي على التحالفات عبر المعاهدات.

ويتعلق جزء من أدبيات التحالفات بالدول الصغرى، ويعتمد قرار الانضمام إلى التحالفات على كون الفوائد الإجمالية للقيام بذلك أكبر من التكاليف. وعلى عكس الحرب الباردة، فقد تختار الدول الصغرى الاشتراك على أساس انتقائي في مجموعة واسعة من الالتزامات الأمنية، مع التركيز على متطلبات الأمن الخاصة بها، والمتطلبات الموجودة في الجوار المباشر[75]، وتقيم الدول الصغرى تحالفات لتحقيق التوازن ضد الهيمنة الصاعدة لدول أكبر.

وطبيعة تحالفات الدول الصغرى تحددها معطيات هي الموقع الجغرافي، والتاريخ، والتقاليد، والسياسية المحلية، والتحالفات المتاحة[76]، بينما تكون التحالفات العسكرية للدول الكبرى بهدف ردع الخصوم، وخلق التزام اقتصادي وعسكري للشركاء والحلفاء، وتوافر خيارات استراتيجية وتكتيكية في أوقات الأزمات[77].

---

70 Muthanna, p. 6.

71 Drab, pp. 67 - 68.

72 Muthanna, p. 3.

73 عبد النور بن عنتر، "جولة وزير الدفاع الأميركي المغاربية: استراتيجيات التوظيف المتبادل"، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/10/27، ص 3، شوهد في 2023/5/11، في:

https://bit.ly/42M5vpW

74 هاني البسوس، "الدبلوماسية الدفاعية القطرية: استراتيجية التحالفات العسكرية"، **دراسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/12/27، ص 6، شوهد في 2023/5/10، في:https://bit.ly/3NY9Y4K

75 المرجع نفسه.

76 المرجع نفسه، ص 7.

77 المرجع نفسه.

تأسيسًا على ما سبق، تسعى الدول، بشتى السبل، لتحقيق مصالحها الوطنية، حتى لو أدى ذلك إلى إضعاف نفوذ الدول الأخرى، التي يمكن أن تمثل تهديدًا للدولة؛ ومن هنا يمكن أن تستخدم الدولة دبلوماسيتها الدفاعية وتستخدم قوتها الناعمة لتحقيق الآتي:

- إخضاع الآخرين لتنفيذ سياساتها ورغباتها من دون استخدام العنف.
- التأثير في ميزان تعادل القوة الإقليمي بالتحالفات والشراكات الاستراتيجية.
- السيطرة على نقاط الضعف، وتعزيز نقاط القوة.
- تحقيق السياسات الأمنية والدفاعية.

وعلى الرغم مما جرى إبرازه من فاعلية الدبلوماسية الدفاعية وإيجابيتها، فإنه يلاحظ أن لهذه الدبلوماسية جوانب سلبية تمثلت في الآتي:

- الصراع الدولي على النفوذ، وهذا ما ظهر في حالة الاستقطاب الحاد بين دول أوروبا الغربية وجيوش الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي.
- محاولة تعزيز الموقف الاستراتيجي في فترة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، الذي تمثل في تهديده المستمر بالانسحاب من الناتو؛ ما جعل الدول الأوروبية تركز في سياساتها الدفاعية والأمنية على تغيير ميزان تعادل القوى، لتكون لصالحها وضد روسيا.
- انضمام بولندا - التي كانت تمثل رمزية خاصة بين دول شرق أوروبا لاحتضانها حلف وارسو - إلى الناتو، وانفجار الصراع بسبب محاولة أوكرانيا الانضمام إليه.
- لوحظ أن الصراع بين الدبلوماسية الدفاعية والدبلوماسية العامة، التي تمثلها وزارة الخارجية، في البعدين النظري والتطبيقي، قد أثر كثيرًا في السياسة الخارجية، من حيث المستويات والمهمات، بالنسبة إلى القوات المسلحة من ناحية، وعمل وزارة الخارجية من ناحية أخرى. وهي قضايا تحتاج إلى إعادة التفكير ومراعاة المصلحة الوطنية، وتبدو المشكلة أكبر في دول العالم الثالث.

خاتمة

تعدّ الدبلوماسية الدفاعية أداة ومقاربة، شكلتها التقاليد والاحتياجات الحالية للسياسة الخارجية والأمنية، وتوصف بأنها ممارسة لإجراء المفاوضات، والتعاون في المجالات العسكرية لتعزيز قيم السلام، وتتطلب استخدامًا أمثل للوسائل والأساليب والأدوات لخفض حدة التوترات، وفي الوقت نفسه يجري تنفيذها بموجب القانون الدولي.

ويعدّ التنظير في مجال الدبلوماسية الدفاعية من بين المجالات المعرفية الحديثة نسبيًّا؛ نظرًا إلى ما تمثله الدبلوماسية من ضرورة في العصر الحديث، وازدياد أهميتها كل يوم، وقد توسعت وظهر العديد من المقاربات المختلفة، وجرت حولها حوارات ونقاشات فكرية؛ ما أكسب هذه الدبلوماسية الدفاعية تطورًا وزخمًا فكريًا.

استنادًا إلى ما سبق، تستخلص الدراسة الاستنتاجات التالية:

- استخدام الدبلوماسية الدفاعية له أثر بالغ في ربط القضية الإقليمية بالأمن والسلم العالميَين، وذلك بإشراك القوى الدولية الفاعلة، وضمان العمل المشترك معها أو وضعها على الحياد.

- استخدام الدبلوماسية الدفاعية يعدّ أكثر اقتصادًا للمال من المواجهة مع العدو، ويحافظ على إبعاد شبح المواجهة، وتلافي ما يمكن أن يحدث من خسائر بشرية ومادية وإهدار للجهد.
- أنشطة الدبلوماسية الدفاعية لها تأثير في حالة السلم والأمن الدوليَين والإقليميَين، وتأتي الفائدة منها بالتأثير في الرأي العام العالمي والإقليمي، وكسب التأييد في المنابر الدولية، وتحقيق الردع بالشراكة مع الدول ذات النفوذ، وتقوية نقاط الضعف الناتجة من الوضع الجيوسياسي للدول، وضمان الحفاظ على سيادتها.
- ممارسة الدبلوماسية الدفاعية ستكون سببًا في إنشاء تحالفات إقليمية وفوق إقليمية جديدة، وتعزيز وجود التحالفات القائمة، وإدارة أنشطة مشتركة (قوات تدخل سريع مشتركة، تبادل خبرات، شراكات في تكنولوجيا التصنيع الحربي).
- الدبلوماسية الدفاعية تعمل على تجاوز استخدام القوة، وتعميق فهم هذه الدبلوماسية على أنها أداة ووسيلة لفن الحكم، وعنصر ضروري في حل أزمات النزاع والحرب.

المراجع

1. العربية

البسوس، هاني. «الدبلوماسية الدفاعية القطرية: استراتيجية التحالفات العسكرية». **دراسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2021/12/27. في: https://bit.ly/3NY9Y4K

بشارة، عزمي. **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

بن عنتر، عبد النور. «جولة وزير الدفاع الأميركي المغاربية: استراتيجيات التوظيف المتبادل». مركز الجزيرة للدراسات. 2020/10/27. في: https://bit.ly/42M5vpW

خالد، منصور. **شذرات من وهوامش على سيرة ذاتية. ج 4: الدبلوماسية السودانية في نصف قرن**. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2018.

سويترز، جوزيف وبول سي فان فنيما وروبرت بيريز (محررون). **إدارة المؤسسة العسكرية: النظرية والتطبيق**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2016.

شوتر، ديفيد. **حوكمة وإدارة قطاع الأمن**. بريتوريا: معهد الدراسات الأمنية، 2011.

عوض، سامي. **معجم المصطلحات العسكرية لصنوف الجيش والقوات البرية والبحرية والجوية والقوات المشتركة**. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2008.

غيريفش، مارتن وتيري أوكالاهان. **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**. ترجمة مركز الخليج للأبحاث. دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008.

قسوم، سليم. **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية: دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2018.

قلاع الضروس، سمير. «التصورات الدولية للأمن في منطقة الساحل الأفريقي: قراءة مقارنة بين التصورين الأميركي والفرنسي». **قراءات أفريقية**، العدد 24 (2015).

قوجيلي، سيد أحمد. «تطور الدراسات الأمنية ومعضلة التطبيق في العالم العربي». **دراسات استراتيجية**. العدد 169 (2012).

مكي، حفيظة. في الأبعاد والمستويات: النظريات النقدية الجديدة المفسرة للأمن. **دراسات**. المركز العربي للبحوث والدراسات. 2019/11/10. في:https://bit.ly/3MbAHcK

ميصراوي، إيمان. الأمن الوطني: نظرة في المفاهيم والنظريات. **مجلة أكاديميا للعلوم السياسية**. مج 6، العدد 2 (2020).

نيكولسون، هارولد. **الدبلوماسية**. ترجمة محمد مختار الزقزوقي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957.

2. الأجنبية

Berridge, G.R. *Diplomacy: Theory and Practice*. 5th ed. London: Palgrave Macmillan, 2015.

Berridge, G.R. Maurice Keens-Soper & T. G. Otte. *Diplomatic Theory from Machiavelli to Kissinger*. London: Palgrave Macmillan. 2001.

Blannin, Patrick. "Defence Diplomacy in the Long War Beyond the Aiguillette." PhD. Dissertation. Faculty of Society and Design. Bond University. Australia. 2018.

Brady, Anne-Marie & Baldur Thorhallsson (eds.). *Small States and the New Security Environment*. The World of Small States 7. New York: Springer inc. 2021.

Cottey, Andrew & Anthony Forstey. *Reshaping Defence Diplomacy: New Roles for Military Cooperation and Assistance*. Adelphi Paper 365. Oxford: Oxford University Press for the International Institute for Strategic Studies, 2004.

Dodd, Tom & Mark Oakes. "The Strategic Defence Review White Paper." UK Parliament. 15/10/1998. at: https://bit.ly/3MYYZnD

Drab, Lech. "Defence Diplomacy - an Important Tool for the Implementation of Foreign Policy and Security of the State." *Security and Defence Quarterly*. vol. 20, no. 3 (2018).

"European Union Naval Force Somalia Operation Atlanta." European Union External Action. at: https://bit.ly/3ylWDeH

Fris, Justin. "Neither Staunch Friends nor Confirmed Foes: New Zealand›s Defence Diplomacy in Asia." Master Dissertation. Victoria University of Wellington. New Zealand. 2013.

Huysmans, Jef. "Security! What Do You Mean? From Concept to Thick Signifier," *European Journal of International Relations*. vol. 4, no. 2 (1998).

Kissinger, Henry. *Diplomacy*. New York: Simon & Schuster, 1994.

Kron, Nicholas D. "Security Diplomacy: Beyond Defense." Master Dissertation. Johns Hopkins University. Maryland. 2015.

Leon, Daniel Foulkes. "Japan's Defense Diplomacy in South East Asia." *Global Politics Review*. vol. 5, no. 1 - 2 (2019).

Lisiak, Agata & Natalie Smolenski (eds.). *What Do Ideas Do?* Institut für die Wissenschaften vom Menschen (IWM). Vienna: IWM Junior Visiting Fellows' Conferences. vol. 33 (2014).

Muniruzzaman, A.N.M. "Defence Diplomacy: A Powerful Tool of Statecraft." *Claws Journal*. vol. 13, no. 2 (2020).

Muthanna, Kodendera Arjun. "Military Diplomacy." *Journal of Defence Studies*. vol. 5, no. 1 (January/2011).

Piqueras, Carme Chacon. *Defence Diplomacy Plan*. Madrid: Ministerio de Defensa. 2012.

Roddis, Kendra L. & Alexander C. Tan. "Defense Diplomacy: Battling for the Heart of the Pacific." *Outer-Terre*. vol. 58-59, no. 1 - 2 (January 2020).

Willard, James E. *Military Diplomacy: An Essential Tool of Foreign Policy at the Theater Strategic Level*. Fort Leavenworth, KS: United States Army Command and General Staff College, 2006.